



الدكتور نزار أباطة للأدب الإسلامي :

الرواية الإسلامية بحاجة إلى بناء

الشخصية الثقافية والأدبية للكاتب خلاصة مجموعة من المكونات المؤثرة في حياته منذ ولادته. ويتنوع عطاء الكاتب والأديب بتنوع هذه المؤثرات. ولعل الدكتور نزار أباطة يمثل هذه المقولة بوضوح بنشأته في الطبيعة الدمشقية المتفردة الجمال، والموغلة في التاريخ، وتربيته في أسرة دينية، وتعلمه على يد أساتذة كبار، وقراءاته المتنوعة لرواد الأدب والفكر في العصر الحديث.

وقد وجدنا هذا التنوع في اهتمامات د. نزار أباطة وأبداعاته الفكرية والأدبية شكلاً ومضموناً من خلال لقاء مجلة الأدب الإسلامي معه في هذا الحوار:

التحرير



● لمحة عن السيرة الذاتية والإنتاج الأدبي.

● ولدت ونشأت بدمشق. وتخرجت بقسم اللغة العربية من جامعتها كما حصلت على دبلوم التربية العامة. وفي مرحلة لاحقة تخرجت بقسم اللغة الفرنسية، مما أكسبني ثقافة أخرى أفادتني فيما أزعم في تكوين شخصيتي على طريقة ما. انخرطت في سلك التدريس مدة، وأفدت في الاطلاع على جو الشباب غير جيلنا، وكانت علاقتي بطلابي وطالباتي حسنة جداً. ثم انتدبت إلى مجمع اللغة العربية بدمشق فأمضيت فيه عشر سنوات تقريباً تخلصها انقطاع، وتعرفت هناك على جو أكاديمي، وتعلمت كثيراً من الدكتور

شكري فيصل -رحمه الله- ومن الدكتور عدنان الخطيب ومن آخرين من أعضاء المجمع، وعملت بتحقيق التراث واتصلت بالكتب التراثية وأفادتني صحبة صديقي الدكتور محمد مطيع الحافظ الذي وصلني بعدد من الشخصيات العلمية.

وكنت منذ المرحلة الثانوية أتردد على حلقات الشيوخ، أقرأ في العلوم العربية خاصة والشرعية عامة، وأمضيت أياماً خصبة تلقيت فيها إلى جانب العلم ما أفاض عليّ شيوخ

الأجزاء بأسلوب جديد، ولم أخرج بالطبع عن التوثيق. ولي أعمال أخرى تتصل بتعليم اللغة العربية لغير أبنائها، وكتب عن الإعلام وغير ذلك.

● د. نزار، للقصة تأثيرها البالغ في هذا العصر حتى سُمي بعض الدارسين هذا العصر بعصر الرواية، ما رأيكم في ذلك؟



■ الذين يتصلون بي هم من الشباب غالباً، والذين يعلقون على ما قرؤوا لي في الرواية أكثر ممن يتحدثون عن كتاباتي الأخرى.

● لا شك أن للرواية والقصة تأثيرها الملموس في الحركة الثقافية المعاصرة، وهناك من الناس من لا يقرأ إلا الروايات والقصص، أو تكون أغلب قراءته فيها.

هذا وتأخذ الرواية حيزاً مهماً في واجهات مخازن الكتب ورفوفها، وتثير ضجة في السوق، وأخذاً ورداً، وتسلط عليها الأضواء، وتجري لها المسابقات ذات الجوائز القيمة، وتبرز أسماء كتّاب الرواية جدد بأعداد كبيرة في جميع البلدان، ويُقبل القراء على

رحمهم الله من أخلاقهم ورعايتهم وتوجيههم مما أفادني بالاستقرار النفسي وآفاق الرؤية فكانت مرحلة الشباب عندي هادئة تماماً، شكر الله لهم وجزاهم عني كل خير.

ثم إنني رحلت إلى دبي في الإمارات العربية المتحدة، فعملت في قسم الدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، وكانت تلك مرحلة منفتحة إلى دنيا جديدة، وفرصة للسفر إلى عدد من البلدان العربية والأجنبية انطلاقاً من هناك من أجل أهداف ثقافية واجتماعية وفكرية.. وإذ ذلك حصلت على درجة الدكتوراه من أكاديمية العلوم الأذربيجانية بموضوع "الاتجاهات العامة للشعر الحديث في الإمارات العربية المتحدة ١٨٩٠-١٩٩٠" وصدر الكتاب عن دار الفكر بدمشق التي أشرف بالعمل بها الآن منذ عام ١٩٩٧م مع ثلة من الباحثين. والتي أعد عملي فيها مرحلة متميزة في عمري الثقافي والأدبي، لأنني وجدت نفسي فيها وانخرطت في بؤرة الحركة الثقافية باتصالي مع شريحة واسعة من أصحاب الثقافة والقلم والفكر الذين تستقطبهم الدار.. فضلاً عن كونها صاحبة برنامج ثقافي وخطة واضحة تتجه إليها في خطواتها.

وفضلاً عن ذلك فأنا عضو في اتحاد الكتاب العرب، وسعدت كثيراً بعضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

أما ما يتصل بنتاجي الأدبي فسأتحدث عما يتعلق بالقصة والرواية فيما يأتي.

أنا متوفر حالياً على الكتابة في السيرة النبوية العطرة من خلال سلسلة في ستة أجزاء صدر منها "في بيت الرسول ﷺ"، و"في صحبة الرسول ﷺ"، و"في مدينة الرسول ﷺ". ولقيت نجاحاً بفضل الله ورواجاً والجزء الرابع في المطبعة "تحت راية الرسول ﷺ" والجزآن الأخيران في الإعداد.. تناولت المادة في هذه



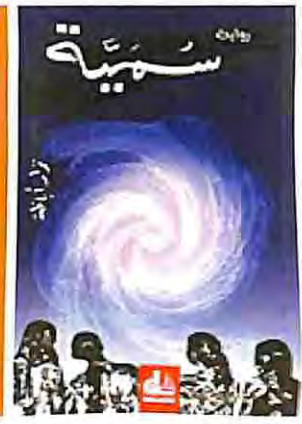
أرى أنه لا يطلب من الرواية الإسلامية بالضرورة أن تأتي على ذكر الله تعالى ولا على ما في السنة النبوية، ولا تقتضي أن تعرج على استشهادات من الحديث الشريف ولا الرموز الإسلامية.. ولعل هذا هو الأسلوب الذكي في الكتابة فيها على ما أرى، وبذلك تكون أنفع في التأثير من أجل إغناء الأدب الإسلامي، ولا يقدر على ذلك إلا المتمرسون. وقد يكون في ظاهر الرواية الإسلامية - كما أزعج - مواقف تنفر بعض الإسلاميين إذا لم يحسنوا قراءتها، لكنها تصل في النهاية إلى الهدف الذي تسعى إليه؛ لأن الرواية تصوير للمجتمع بكل عيائاته التي يعرضها الكاتب ليوظفها في الرؤية التي يراها ويقنع بها المتلقي، وهذه مهمة صعبة قلما يوفق إليها كل أحد. وإذا قدر عليها الروائي أبدع.. أما البناء الفني فعلى الكاتب الإسلامي أن يتقنه كل إتقان لئلا يفسح مجالاً للألسنة المغرضة. واليوم وقد طفا على السطح كتاب الحداثة، وروجت لهم الصحف وهللت لهم المجلات، وسبحت بحمدهم وسائل الإعلام فإن مهمة الرواية الإسلامية مهمة غير هيئة تحتاج إلى تقديمها على نحو جذاب يدفع القراء للإقبال عليها.. أحيي رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي تحمل هذا الهم وأرجو أن توفق إلى حمل لواء الرواية الإسلامية وتنطلق بها نحو آفاق رحبية، لتقف في وجه الغناء الذي يرفع رايته المغرضون.

● من هم كتاب القصة الذين تأثرت بهم؟

● كانت أيام دراستي الثانوية من أهم المراحل التي مررت بها في التأثر بكتاب القصة، بالرغم من افتقار التوجيه الثقافي آنذاك، وبالرغم من الانتقاء العشوائي من الكتب والقصص والروايات المتوافرة في السوق والإمكانات المتاحة للاختيار. قبل ذلك وفي المرحلة الابتدائية قرأت لكامل الكيلاني وفي مجلة سندباد الجادة، وأكثر كتب سلسلة أولادنا التي كانت تصورها دار المعارف وزودتني بزاد نافع.

كتاباتهم التي تطبع طبعات عديدة، وترجم روايات تروج كذلك رواجاً غير متوقع.. ويبحث الشباب دوماً عن الجديد.

ومن خلال أعمالي الأخيرة فإن الذين يتصلون بي هم من الشباب غالباً يعلقون على ما قرؤوا لي في الرواية.. هذا أكثر بكثير ممن يتحدثون عن كتاباتي الأخرى.



■ أرى أنه لا يطلب من الرواية الإسلامية بالضرورة.. أن تأتي على ذكر الله تعالى، ولا تقتضي أن تعرج على استشهادات من الحديث الشريف ولا الرموز الإسلامية..

● هل ترى للرواية الإسلامية خصوصية معينة من حيث الشكل والمضمون؟

● الرواية الإسلامية اليوم واجب ملقى على عاتق الأدباء الجادين. وربما تكون أسلوباً من أساليب الدعوة. وهنا مسألة يجب الوقوف عندها، ولعل قسماً من القراء في رأيي لا يدركون معنى أن تكون الرواية إسلامية.

مثيرة، وأستطلق في حركات الناس الذين أراهم في شوارع البلدة، وأشغف بأحاديثهم ولهجتهم.. وقد جمعت الأمثال الدمشقية في كتاب ضم أكثر من ثلاثة آلاف مثل طبع مرتين، ثم استقصيت أكثر فاجتمع لدي ألفان آخران من نوادر الأمثال ومشهورها، وأكاد أحفظها كلها عن ظهر قلب، وأستشهد بها في المناسبات.

وفي المرحلة الثانوية قرأت لمحمود تيمور وثروت أباطة ويوسف السباعي وشغفت بمحمد عبد الحليم عبد الله. واستمتعت بما عند توفيق الحكيم، ثم أتيت على جانب كبير من روايات نجيب محفوظ. وبالطبع كنت أقرأ من دون نقد. وهذا أمر حساس في تلك المرحلة العمرية، وكنت أميل كثيراً إلى أسلوب طه حسين في كتبه القصصية حتى انتقدني فيما بعد منذ سنوات

بعض أصحاب الاتجاه الحداثي بأنني أنسج في بعض قصصي على أسلوب طه حسين في تركيب الجمل وسياقتها ورأى في ذلك عيباً فاضحاً لأسلوب بات متخلفاً محنطاً.

ثم قرأت قصصاً وروايات أجنبية لأندرية جيد والبير كامو وفلوبير. واستفدت فنياً منهم ومن بعض روايات غي دو موباسان في البناء الفني ومعالجة الشخصيات واستغلال تفاصيل الأحداث للوصول إلى النتائج في النهايات وسوق القارئ إلى التفاعل مع الوقائع.

● للبيئة الدمشقية حضور واضح في روايات الدكتور نزار. كيف تعامل

الدكتور نزار مع البيئة في قصصه ورواياته؟

● أحب دمشق من كل قلبي.. أوتر أماكن ترتاح بها نفسي إذا كنت فيها. وقد أمضيت زمناً غير قليل في الكتابة عن علمائها وأعلامها.

في دمشق زوايا ومحال وشوارع وحارات تثير في قلبي إحساسات شتى رائعة تحلّق بي، تدفعني الصور الدمشقية من حولي للكتابة.. وربما أثارني منظر دمشقي رأيته فدفعني إلى كتابة أقصوصة ما، أو اخترنته لأدرجه في بعض الروايات، فأنا مشدود الهوى إليها. أقرأ في الوجوه الدمشقية التي أعياشها سطوراً

الأبطال في رواية "حبيبتي من ورق" أطفال دمشقيون أشقياء يشبون ويكبرون وتكبر معهم دمشق في صورها اليومية التي اختفى بعضها اليوم. وفي الرواية هذه تفكير الدمشقيين وعواطفهم وما يحملون في جوانحهم من عواطف.

وفي رواية "القادمون من الآفاق" يعيش البطل الدمشقي تجربة الغربة بالسفر إلى ألمانيا ولا تشغله لقاءاته مع الشخصيات الأخرى التي تؤلف الجو العام للرواية، فيحمل معه دمشق، لا تكاد تختفي من فكره، يعيش مع محبوبته الدمشقية وأفكار أمه وجاراتها





● يلاحظ أنك اتجهت بقوة في الفترة الأخيرة إلى الرواية. ما سبب ذلك؟

● بدأت بكتابة القصة أولاً قبل الرواية بزمان.. كانت تجاربي الأولى منذ المرحلة الإعدادية وبداية المرحلة الثانوية. كتبت كثيراً، لكنني ما تجرأت أن أقدم شيئاً للنشر، كنت أستحيي وأخاف لأنني لا أجد ما أكتبه شيئاً ذا بال، حتى عرضت ما كتبت على بعض الأساتذة فشجعوني.

وبقي الخجل يصاحبني للأسف حتى اليوم. ثم تيسر لي الاتصال بدار الفكر فنشرت لي وروجت مجموعاتي القصصية. ومع ذلك كنت أتهيب من نشر روايتي لي كتبتهما منذ السبعينات للقرن الماضي. حتى سافرت في رحلة إلى ألمانيا (فرانكفورت) لحضور معرض الكتاب باستضافة معهد غوته، كان زملاء الرحلة كتاباً ومشتغلين في الصحافة والثقافة والنشر جاؤوا من بلاد عربية مختلفة يحملون مشارب شتى، واحتواني جو مشجون بالعواطف والأحداث والشخصيات المتضاربة رجالاً ونساء، وكذلك بالأفكار المثيرة في رأيي على الأقل، وعشت مشاعر وضعتني على حافة القلق والاضطراب الفكري والنفسي فنسجت رواية "القادمون من الآفاق" ولم تتردد الدار في نشرها وكانت أول ما نشر لي ولقيت استحساناً من القراء وأصحاب الرأي.

ولم تكن هذه أول رواية كتبتها.. فسارعت إلى أخرى حبيسة الدروج "حبييتي من ورق" كنت كتبتها في عام ١٩٧٥ تقريباً وهي تصور مدينة دمشق في الستينات من القرن الماضي ورأيت أن لا بأس في نشرها مع إيماني أنها دون الأولى بكثير.. على أن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية التي تعيشها دمشق اليوم دفعتني إلى أن أصور كل أولئك من خلال سيرة حياة فتاة تأثرت بما يجري لها، وجدت فيها خيوطاً جاهزة للحبك في نسيج استمتعت بحياكته..

العجوز بأرائها ويقدمها بقوة مع صور من دمشق يمزجها بما يرى في ألمانيا.

وفي رواية "سمية" حضور دمشق واسع، ليس بالشخصية الرئيسية فحسب بل بالشخصيات الأخرى، وبأسماء الأماكن العديدة وبالحركة الشبابية الصاخبة بدمشق والجوانب الدينية التي تميزت بها البلدة.



■ بقي الخجل يصاحبني للأسف حتى اليوم. وتيسر لي الاتصال بدار الفكر فنشرت وروجت مجموعاتي القصصية. ومع ذلك كنت أتهيب من نشر روايتي كتبتهما منذ سبعينات القرن الماضي.

لا أشعر بأنني أتعامل مع البيئة الدمشقية لأقحمها في الرواية، وإنما هي التي تأتي كما أظن عفواً الخاطر؛ لأنني أكتب ما أعيشه.. تنفض إلى ذهني خلال الكتابة، وتطفو من المخزون النفسي صور دمشقية بكل عناصرها وعبقها فأتعامل معها وأذكرها بقوة.

■ قرأت لمحمود تيمور وثروت أباطة ويوسف السباعي، وشغفت بمحمد عبد الحليم عبد الله، واستمتعت بها عند توفيق الحكيم، وأنيت على جانب كبير من روايات نجيب محموظ، وكنت أميل كثيراً إلى أسلوب طه حسين في كتبه القصصية.

الذي توفر - جزاه الله خيراً - على نقدها النقد العلمي.
ونحتاج كذلك إلى آخرين يحملون معه الراية، فهذا واجب
مقدس لكل مخلص للعربية ولغة القرآن الكريم.

● ما آخر إنتاجك المنتظر؟

● آخر رواية كتبتها العام الفائت كانت تحت عنوان
"العيون السود" تنتظر النشر، وهي تصور الحرب على
غزة بعد حصارها الأثيم ومعاناة أهلها في العدوان
الظالم، من خلال قصة حب غريبة قامت من تحت
القصف والدمار في مخيمات اللاجئين.

عندي مشروعات لروايات إحداها عن جيلنا نحن
الذين ولدنا في النصف الثاني من القرن العشرين،
والأخرى عن الحياة الدمشقية المتحولة من الماضي إلى
الحاضر وما طرأ عليها في الفكر والمجتمع والسياسة
والعمران. وأكثر ما طرأ عليه التغيير هو النفوس التي
فقدت كثيراً من القيم الرائعة. وهناك في الجعبة أشياء
أخرى.

هذا، وأتابع الكتابة في السيرة النبوية التي أشرت إليها
وفي سلسلة تعليم العربية ■

تلك كانت رواية "سمية". كنت أكتب كلماتها كما
لو أنني أتحرك مع البطلة وصديقاتها والشباب حولها
وأعيش معهم وأنفعل بما يجري لهم. وربما حققت وأنا
أكتب على فلان أو فلانة وربما سخطت.. كنت أشعر أن
الأحداث هي التي تدفعني. وأن شخصاً هو الذي يملئ
عليّ خواطري ويمسك بمشاعري وأنا أكتب. ولست أنا
الذي أدفع الأحداث وأستولدها إلا على النادر القليل...

● كيف تقوم الحركة الأدبية في سورية. ولا سيما الروائية والقصصية منها؟

● الحركة الأدبية في سورية اليوم تفتقر إلى دراسة
جادة، في السوق نتاج فيه الغث وفيه السمين، وتطالعنا
الصحف والمجلات يومياً بعناوين كثيرة.. ثم تنسى مع
زحمة الكتب ومع العزوف القرائي. والجيد قليل، ولا يروج
له ولا يدرس.

● الدكتور نزار عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية. كيف ينظر إلى هذه الرابطة وإنجازاتها؟

● أحيي رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي تعدّ
منبراً مهماً فيما قامت من أجله، لتقف في مواجهة
الأدب المنحرف الذي تطالعنا بين الحين والآخر أصوات
القائمين عليه بما يقدمون من مفاجآت غير مريحة،
تسخر لهدم القيم واللغة.. وهذا يكفي الرابطة فخراً
وخصوصاً مجلتها التي أرى صدوراً ضرورة ماسة
بكل زواياها. أسأل الله للقائمين على الرابطة كل توفيق
وسداد - جزاهم الله خيراً - وأرجو أن يكون لديهم دوماً
تجديد في المنهج وفي الأسلوب لئلا يكون ما تقدمه الرابطة
رتيباً على نغمة واحدة.

● ما موقفك من الحداثة؟

● الحداثة بمفهومها الخاطئ بليّة بليت بها الأمة
اليوم، وخصوصاً أن معها الصحافة التي تنفخ فيها
الروح، وتضفي عليها هالات القداسة. وواجب النقد اليوم
أن يستنفروا من أجلها كل طاقاتهم لبيان العيب فيها
ولكشف اللثام عنها كما يفعل الأخ الدكتور وليد قصاب